الفصل الثالث

وديعة قدورة خرطبيل
رائدة من لبنان أعطت لفلسطين

رضوى عبد القادر

بيروتية المنشأ، أم فلسطينية القلب والنضال، فهي عربية الهوى . إنها وديعة قدورة خرطبيل، التي أعطت لقضية فلسطين الكثير، كما أعطت للبنان، وباقي القضايا العربية.

النشأة

نشأت وديعة مصطفى قدورة في أسرة بيروتية عريقة، قومية الهوى، علمية المنهج، سبَّاقة في خدمة المجتمع والوطن.أسرة عُرِفت باهتمامها بالطب، والتجارة، والسياسة، ويكفي من أعلامها، على سبيل المثال لا الحصر، عمتها السيدة ابتهاج

قدورة، رائدة الحركة النسائية في لبنان، منذ العهد العثماني، حيث رافقت وديعة عمتها الخطوات الأولى لتشكيل الحركة النسائية المستقلة، لتضم، في العام ١٩٢١، معظم الجمعيات النسائية في لبنان، ثم تحول هذا الكيان الاتحادي، في العام ١٩٢٤، إلى هيئة مرخص لها، رسميًا، باسم «الاتحاد النسائي في سوريا ولبنان». فضلاً عن اهتمام العمة، ابتهاج، بالقضية الفلسطينية، واتصالها بالزعيمة النسائية المصرية الشهيرة، هدى شعراوي، في مجال خدمة هذه القضية. أما جد وديعة، أديب قدورة، فلم يكن طبيبًا مشهورًا، فحسب، بل كان، أيضًا، عضوًا مؤسسًا في «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية»، وعضوًا في «مجلس المعارف». فيما كان والدها، مصطفى قدورة، أول صيدلي مسلم، حمل دبلومًا، بعد دراسته في الجامعة اليسوعية بلبنان، وعُرِفَ بعمل الخير، وبمساعدة المحتاجين، ونجدة المظلومين، حتى أنه أنشأ عيادة خاصة بالفقراء، مقابل صيدليته، حيث كان الأطباء المناوبون فيها يعالجون المرضى، مجانًا، ووالد وديعة يصرف الدواء، مجانًا، أيضًا. ويمكن القول بأن بناية قدورة، وما أحاط بها، منذ أيام العثمانيين، والانتداب الفرنسي، كانت، إلى حدٍ ما، أول مجمَّع طبي في بيروت. إضافة إلى أن الوالد، مصطفى قدورة، لم يكن متزمِّتاً، لذا عامل وديعة معاملة الصبي، كما علّمها الصيد. وبفضل عقليته المتنورة، أُتيحت لوديعة، وأخواتها جميعًا، فرص التعلُّم، والتثقُّف، ومزاولة الأنشطة الاجتماعية. أما والدة وديعة، السيدة خانم الحُسامي، فقد نشأت في بيئة جُل اهتمامها بالثقافة والفنون، ولكن الحسامي اندمجت، بعد ذلك، مع بيئة زوجها، المهتمة بالطب، والصيدلة. وقد أثرت الوالدة، والعمة في تكوين شخصية وديعة، منذ الصغر، فكانت وديعة شغوفة بعزف البيانو، كما أنها، عند تأسيس «جمعية النهضة النسائية» (١٩٢٤)، ارتدت هي وشقيقاتها الأزياء الوطنية، وحثثن الناس على شراء المنتجات المحلية، بفضل توعية الوالدة، والعمة ابتهاج، وكانت وديعة، حينئذٍ، في التاسعة من العمر (أي أنها ولدت عام ١٩١٥). كما أدخلتها العمة في مسار تعرّفت، خلاله، على تلك الأعمال

الأدبية الأولى، التي أثارت قضية المرأة[1].

درست وديعة الطب، في كلية بيروت للبنات، لكنها لم تُكمل مشوارها في الكلية، وكان من هواياتها، في الكلية: التمثيل، والرقص الإيقاعي، ولعب التنس، وكرة السلة، والكرة الطائرة، فضلاً عن المطالعة[2].

اكتسبت وديعة اسم خرطبيل، من زواجها بابن فلسطين البار، الطبيب أديب خرطبيل، حيث ذهبت وديعة، عام ١٩٣٢، عروس لبنانية، إلى طبرية بفلسطين، فتركت الانتداب الفرنسي على لبنان، لتواجه الانتداب البريطاني على فلسطين، ومعه مشروع الاستيطان الصهيوني[3].

وصلت وديعة فلسطين، وقد أنهت هبَّة البراق، صيف ١٩٢٩، المرحلة الأولى من حياة الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨-١٩٢٩م)، التي أخلت موقعها للمرحلة الثانية، بعد أن لمس الشعب العربي الفلسطيني مدى تخاذل قيادته السياسية شبه الإقطاعية؛ وعقم أشكال الكفاح، التي فرضتها هذه القيادة على الشعب، وافتضاح أمر تحيُّز الانتداب البريطاني للصهيونية.

اللافت، في تلك المرحلة الثانية (١٩٣٠-١٩٣٩)، بأن حضور البرجوازية العربية الفلسطينية في القيادة فاق حجمها بكثير، وقد جاء دخول البرجوازية العربية الفلسطينية قيادة الحركة الوطنية، في المرحلة الثانية، مكسبًا كبيرًا لهذه الحركة، وذلك لاتسام هذه البرجوازية بالثورية، آنذاك، بتأثير أربعة محددات. أولها، كون هذه البرجوازية وليدة، لم تكتسب أنيابًا ومخالب، بعد والثانية، وقوع البرجوازية نفسها

(١) للمزيد عن العائلة، انظر: وديعة قدُّورة خرطبيل، **مذكرات وديعة قدورة خرطبيل، بحثًا عن الأمل والوطن، ستون عامًا من كفاح امرأة في سبيل فلسطين ١٩٣٦-١٩٩٠**، ط١، بيروت، توزيع بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص٧-٤٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢ .

(٣) للمزيد، انظر: المصدر نفسه، ص٤٣-٥٣.

تحت الضغط المزدوج: الاستعمار البريطاني والصهيونية، والثالثة، انقطاع صلة هذه البرجوازية بالسوق الرأسمالية العالمية، أما الرابعة، فتمثَّلت في تطلُّع البرجوازية إلى الانفراد بسوقها المحلية.

في المقابل، ضعف برنامج كبار الملاّك، بسبب سقوطهم في امتحان العشرينيات، فكان طبيعيًا أن يُخلي برنامج كبار الملاّك، موقعه لبرنامج البرجوازية، الذي اعتبر الاستعمار البريطاني «أُس البلاء»، أما الصهيونية فمجرد ذيل له. كما استحدثت البرجوازية أشكال كفاح صدامية، وقد تم تجربة تلك الأشكال، في انتفاضتي مارس/ آذار، وأكتوبر تشرين/ الأول١٩٣٣، وهما اللتان بشرتا بحركة القسّام المسلحة، في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٣٥[1].

نضال المرأة

كانت بدايات الحركة النسائية في لبنان، كمثيلتها في فلسطين، إذ بدأت بأعمال بر، وإحسان، ومساعدة أيتام، وأرامل، ومعوزين. وعندما أصرّ زوج وديعة على العمل في حكومة فلسطين، بالقدس، وترك طبريا، أُتيح لوديعة الانخراط في العمل النسائي الفلسطيني، لا سيما وأن القدس كانت مركز السلطة وإدارتها، وكذلك معقل نشاط الحركة السياسية الفلسطينية، وتحركاتها، التي لم تقتصر على الرجل، فحسب، فعمل المرأة يُسهم في تغيير التقاليد القديمة، والعلاقات الرجعية. فشاركت النساء الفلسطينيات، في بداية عشرينيات القرن العشرين، بقيادة المثقفات، وبنات الأُسر الكبيرة منهن، في أول ثورة للشعب الفلسطيني، على الانتداب البريطاني، فخرجن في المظاهرات الضخمة، التي تفجَّرت في القدس، ويافا، وحيفا، في مسيرات ضخمة. وقد تمخَّضت هذه الخطوة الأولى للمرأة الفلسطينية عن تشكيل أول اتحاد

(١)عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية، المحطات الرئيسية/ الدروس المستفادة، ط١، القاهرة، دار الكلمة، ٢٠٠٠، ص٢-١٥.

نسائي فلسطيني، عام ١٩٢١، أسسته السيدات: إيميليا السكاكيني، وزليخة الشهابي، وطرب عبد الهادي، كما تأسست «جمعية السيدات العربيات»، في القدس، عام ١٩٢٨، من أجل مشاركة الرجل في جهاده،وعمله الوطني، وتضحياته. وقد تأسست جمعيات نسائية وطنية، في مدن أُخرى بفلسطين، وظلّت تلك الجمعيات تقوم بواجباتها المخطط لها، حتى تأسس «الاتحاد النسائي العربي العام»، في مصر، برئاسة هدى شعراوي، بُناءً على طلب من ابتهاج قدورة[١].

شهدت المشاركة الوطنية للمرأة الفلسطينية تصاعدًا ملحوظًا، مع نهاية العشرينيات، بلغ ذروته باستشهاد أربع فلسطينيات، في منطقة القدس، خلال ١٩٢٩ و١٩٣٠. ففي عام ١٩٢٩، عقدت النساء الفلسطينيات مؤتمرًا نسائيًا عامًا، في القدس، حضرته ٣٠٠ سيدة عربية فلسطينية، لمناقشة المؤامرة البريطانية - الصهيونية، ضد الوطن، ودور المرأة الفلسطينية في التصدي لها. وفي نهاية هذا المؤتمر تم تشكيل وفد نسائي من أربعة عشر سيدة، لمقابلة المندوب السامي البريطاني، أما سائر السيدات، فقد استقللن ٨٠ سيارة، اخترقت شوارع القدس، وطفن على مختلف القنصليات الأوروبية، للإعلان عن موقف المرأة الفلسطينية. كما شاركت المرأة الريفية، لاحقًا، زميلاتها، في المدن هذا النضال، فنقلت المؤن، والذخيرة، إلى الثوّار في الجبال، وقامت بتمريض المصابين منهم، فضلاً عن عقد الاجتماعات النسائية، سرًا، في البيوت، لمناقشة كيفية المشاركة الوطنية النسائية الشاملة في الثورة[٢].

ثورة ١٩٣٦

وصل الاحتقان الشعبي ذروته، مع استشهاد القسّام ورفاقه(٢٠/ ١١/ ٣٥)،

(١)خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص٥٤-٥٨.

(٢)غازي الخليلي، نضال المرأة الفلسطينية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، ١٩٧٧، ص٧٧.

خاصةً مع الارتفاع الملحوظ في منسوب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بمجرد وصول النازي إلى الحكم في ألمانيا (يناير/ كانون الثاني ١٩٣٣)، وما ترتّب على تلك الهجرة من ارتفاع نسبة البطالة في صفوف العمّال العرب الفلسطينيين، ومعها نسبة الفلاحين المطرودين من الأراضي الأميرية، التي أخذت تنتقل إلى الصهاينة، ومؤسساتها. كما ضاقت الفرص أمام المثقفين، والرأسماليين، ناهيك عن زيادة خطر المشروع الصهيوني. وجاءت الشرارة على يد مجموعة قسّامية مسلّحة. وكانت بداية الإضراب في مدينة يافا (٢٠/ ٤/ ١٩٣٦)، ثم امتدّت شرارتها إلى بقية أرجاء فلسطين، واستمر ذلك الإضراب نحو ستة أشهر متّصلة. فيما كانت الأحزاب العربية القلسطينية الستة(*) قد حذّرت المندوب السامي البريطاني - غداة استشهاد القسّام- من خطر انتقال زمام أمور الحركة الوطنية الفلسطينية إلى «المتطرفين»، أمثال القسّام! وبعد أن أُعلِن الإضراب، التأمت قيادات الأحزاب العربية الفلسطينية (٢٥/ ٤)، وقرّرت تشكيل جبهة، ضمّتها جميعًا، باسم «اللجنة العربية العليا»، التي دعت بدورها إلى الإضراب العام، فيما كان الإضراب أُعلِن، فعلاً، قبل خمسة أيام، في تأكيد جديد على أن الشعب كان يسبق قياداته الحزبية [١].

على أنه ما كان لهذه الثورة أن تنتصر، فيما ميزان القوى العسكري مختل لصالح معسكر العدو، والقيادة السياسية الفلسطينية على هذه الدرجة من التردد، والشعب الفلسطيني مُفتقِر للسند الدولي، ناهيك عن وقوف معظم الحكومات العربية ضد الشعب الفلسطيني، وثورته الوطنية [٢].

(*) هي أحزاب: العربي، الإستقلال، الدفاع، مؤتمر الشباب، الكتلة الوطنية، والإصلاح.

(١) أحمد الدبش (محررًا)، عبد القادر ياسين (مقدمًا)، موجز تاريخ فلسطين، من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين، ط١، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠ (أنظر: عبد القادر ياسين، فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ص٦٨٩-٦٩٠).

(٢) المصدر نفسه، ص٦٩١.

كان زوج وديعة قد تسلّم منصبه، طبيبًا مسؤولاً في طولكرم (أو بني صعب)، كما يُسمى لبطولة رجاله، ووطنية نسائه، عام ١٩٣٥، ولم يكن مضى على وجود وديعة وزوجها، في طولكرم سنة واحدة، حتى أبدت «جمعية السيدات الخيرية الاجتماعية» رغبتها في تولّي وديعة رئاسة الجمعية، وبذا تزامنت رئاستها للجمعية، مع ثورة ١٩٣٦. وقد شجّعها زوجها، أديب خرطبيل، على تولّي هذا المنصب. فيما بدأت وديعة بالعمل في دعم الثوّار، بسرية تامة، خوفاً على زوجها، الموظف في حكومة فلسطين، وكان ضروريًا التنسيق بين مختلف قطاعات الشعب، ولاسيما الجمعيات النسائية، التي أخذت تقوم بحملات لجمع الأموال، وشراء الأسلحة، والعتاد، وتجهيز الطعام، وتأمين الكساء، والدواء، وإيصال كل ذلك إلى معاقل الثوّار، في القرى المجاورة. كما دعت وديعة أعضاء الاتحاد إلى الاجتماع، لتخطيط مستقبل مشاركة الثوّار في جهادهم، وشرعن بحملة تبرُّع داخلية، قدّمت كل واحدة خلالها قطعة من مصاغها، دعمًا للمجهود الحربي، فكانت بادرة وطنية رائعة للجمعية الخيرية، في طولكرم، وبعدها التقت سيدات طولكرم لجنة سيدات القدس، وسائر الجمعيات الفلسطينية، وأصدرنّ أول بيان (٣٠/ ٤/ ١٩٣٦)، حثّ المرأة على الإضراب، والصمود، ومشاركة الرجل. وإلى جانب أعمال الإغاثة والإسعاف، شرّعت السيدات بتطبيق القرار الذي اتخذته «الجمعية الخيرية النسائية»، بتبني أبناء الشهداء، ومعاملتهم كأبناء الأسرة نفسها، فضلاً عن حفظ إسمهم، في سجل أسرتهم الأولى. وقد تبنّت وديعة طفلاً اسمه «أحمد»، وهو ابن لامرأة ذات عشرة أولاد غيره، وكانت أمه تأتي لزيارته، مرة كل أسبوع أو أسبوعين، فيما عاملته وديعة معاملتها لولدها فاروق، ابن الثلاثة أعوام، حينئذٍ[1].

***

(١) خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص٧٢-٨٠،٧٥.

المؤتمر النسائي الشرقي

هو المؤتمر الأول المخصص لنقاش «مسألة فلسطين»، انعقد في القاهرة، بحضور وفود من دول عربية، وآسيوية ،وأفريقية، عام ١٩٣٨، فقد كانت أحداث القضية الفلسطينية، في تصاعد ملحوظ، بفعل تأثير التواطؤ البريطاني، مع العصابات الصهيونية. وقد اتخذ المؤتمر، بعد مداولاته، الكثير من القرارات، فاعتبر أن المشكلة الفلسطينية خلّفتها دول أوروبا، والحلفاء، تحديدًا، وعليهم، دون سواهم، تسويتها، على قاعدة العدل والإنصاف [١]. وناشدت وديعة، في ذلك المؤتمر، الملوك والأمراء، العرب والمسلمين، التدخُّل لوضع حد لسياسة الظلم والبطش، التي كان يمارسها الإنجليز، حينذاك، كما أيّد المؤتمر المطالب العربية الفلسطينية، وهي إلغاء الانتداب البريطاني، وإنشاء دولة فلسطين، ذات سيادة؛ واعتبار «وعد بلفور» باطلاً، وإيقاف الهجرة اليهودية، ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود، واعتبار فلسطين وحدة تامة لا تتجزّأ. وطالب المؤتمر بريطانيا بإطلاق سراح السجناء السياسيين، ووصف جهاد المناضلين الفلسطينيين بأنه مشروع، وتسوِّغه جميع الشرائع، كما استنكر المؤتمر الحملات الإعلامية الأجنبية على المجاهدين، واعتبر إصرار بريطانيا على سياستها في فلسطين، عملاً عدائيًا مقصودًا، موجهًا نحو العرب والمسلمين. وقد لاقى هذا المؤتمر صدى طيبًا بين الجمعيات النسائية الفلسطينية، لاسيما عندما وصلت أخباره عبر الصحافة المصرية[٢].

المؤتمر النسائي العربي

اشتركت وديعة، أيضًا، في المؤتمر النسائي العربي (ديسمبر/ كانون الأول

(١)للاطلاع على قرارات المؤتمر كاملة، انظر: من أوراق أكرم زعيتر، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩**، ط٢، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤، ص٥١٢- ٥١٣.

(٢)خرطبيل ، مصدر سبق ذكره، ص ٨١- ٨٢.

١٩٤٤). وفي صباح الحادي عشر من ذلك الشهر، اجتمعت المندوبات المشاركات، بالقاهرة، في منزل رئيسة الاتحاد النسائي المصري العربي، السيدة هدى شعراوي، التي قرأت قرارات اللجان المختلفة، ومنها [١]:

- تضافر الأمة العربية على صيانة استقلال كل منها.

- تأييد المؤتمر لمشروع تكوين «جامعة الدول العربية»، والمطالبة بسرعة التنفيذ.

- مطالبة الحكومات العربية (مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، فضلاً عن حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين)، بإعادة المبعدين، والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين، الذين لم تثبت إدانتهم.

ولما كان لفلسطين وضع خاص، فقد أصدر المؤتمر بشأنها القرارات التالية:

- تأييد حق العرب في استقلال فلسطين، وأن تحكم نفسها بنفسها، حكمًا نيابيًا.

- وقف الهجرة إلى فلسطين، وقفًا تامًا.

- مطالبة الشعوب العربية، أفرادًا وجماعات، بالمساهمة المادية والمعنوية في تأييد قضية فلسطين. وتشكيل لجنة عامة، تمثِّل البلاد العربية، لتحقيق هذا الغرض.

- نشر الدعوة في جميع البلاد العربية، للدفاع عن حقوق العرب في فلسطين.

- إرسال برقية باسم المؤتمر لكل من رئيس جمهورية الولايات المتحدة، ورئيس حكومة انجلترا، تضمّنت الإعراب عن تألُّم سيدات العرب، مما يبدو، بين آن وآخر، من تصريحات تظاهر الصهيونية، على حساب حق العرب الصريح، ورجاء الرئيسين المذكورين باسم السلام، ألا يتأثرا بنفوذ اليهود.

- مطالبة الحكومات العربية، بالتعاون فيما بينها، على اتخاذ ما يلزم من الإجراءات، التي تكفل منع تسرُّب أراضي العرب إلى اليهود، ودعوة ملوك البلاد العربية، وأمرائها، ورؤساء جمهورياتها، وزعمائها، وأفرادها عامة، بالاشتراك في

(١) المصدر نفسه، ص٩٢- ٩٣.

تأسيس شركة مساهمة، للعمل على الاحتفاظ بأراضي فلسطين لمالكيها العرب، وفق نص القرار، الذي اتُّخِذَ في هذه المادة.

إخفاق في الأمم المتحدة

تحت ضغط الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، اضطرت بريطانيا إلى الاعتماد على الصناعة الفلسطينية، لسد احتياجات القوات البريطانية، في فلسطين، فتطوّرت الرأسمالية العربية الفلسطينية، وإن بخطى جنائزية، وفي موازاتها اتسعت دائرة الطبقة العاملة العربية الفلسطينية، فيما هرب قطاع من الرأسمالية العربية الفلسطينية في اتجاه اليمين، رد فعل على تحوّل الاشتراكية إلى نظام عالمي، أساسًا. أما الفئات الوسطى العربية الفلسطينية، فناءت تحت نير الضرائب المتزايدة، والضائقة الاقتصادية، فالتحقت نسبة من أبناء هذه الفئات بالمنظمات شبه العسكرية (الفتوّة، والنجّادة)، في حين لاذت نسبة أقل بالقوى اليسارية («عصبة التحرر الوطني»/ «مؤتمر العمال العرب»/ و«رابطة المثقفين العرب»)[١].

أما الصهيونية، في المعسكر الآخر، فقد حثَّت خطاها، لتنفيذ مشروعها، إذ نقلت مركز ثِقلها، منذ مؤتمر بلتيمور (مايو/ أيار ١٩٤٢)، إلى الولايات المتحدة، التي اندفعت لتحتل موقع بريطانيا، في صدارة المعسكر الاستعماري. وقد رضخت لندن للضغوط الأمريكية، جزئيًا، فوافقت الأولى على استحداث «اللجنة الأنجلو-أمريكية»، التي أصدرت تقريرها (٢٠/ ٤/ ١٩٤٦)، موصية بإدخال مئة ألف يهودي إلى فلسطين، وتسهيل انتقال الأراضي للصهاينة، لكن الانتداب البريطاني تجاهل التقرير، فتعرّض جنوده لهجمات عسكرية صهيونية جديدة[٢].

---

(١) الدسوقي، مصدر سبق ذكره، ٦٩٢.

(٢) للمزيد انظر: عبد القادر ياسين، **كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨**، ط١، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٥، ص٢١٢.

دعت لندن إلى مؤتمر عربي- يهودي جديد، انعقد، فعلاً، في العاصمة البريطانية، لندن، مع نهايات ١٩٤٦، ومطلع ١٩٤٧، لكنه أخفق في التوصُّل إلى تسوية، وحين نصح خبراء الخارجية البريطانية وزيرها، إرنست بيفين، بتحويل قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة، التي ستعجز عن حسم المشكلة،بسبب الاستقطاب الحاد داخل المحفل الدولي، بين الولايات المتحدة، ومن معها، وبين الاتحاد السوفييتي، ومن يناصره، من الدول، هنا تعود القضية إلى حكومة لندن، بعد أن تكون برَّأت ساحتها، وعملت ما عليها! بيد أن المفاجأة كانت حين اتفق الخصمان، السوفييتي والأمريكي، على تقسيم فلسطين، ونال مشروع التقسيم - كما هو معروف – ٣٣ صوتًا، ضد ١٣، وامتنع ١٠ مندوبين عن التصويت، بمن فيهم المندوب البريطاني، الذي غادر قاعة الاجتماع، عند التصويت (٢٩/ ١١/ ١٩٤٧)[١].

شهدت القاهرة اجتماعات عديدة للجنة السياسية للجامعة العربية، فيما بين ٨-١٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧، واستنكرت تلك الاجتماعات التقسيم، وأعلنت العزم على مقاومته. كما رفضت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، في أبريل/ نيسان ١٩٤٨، اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية[٢]، وكانت اللجنة العسكرية التي انبثقت عن اجتماع الجامعة، في عالية بلبنان (٧/ ١٠/ ١٩٤٧)، قد قرّرت تشكيل «جيش الإنقاذ»، في التاسع من الشهر نفسه، إلا أن هذا القرار لم يُطبَّق، عمليًا، ولم يعين قائدًا لهذا الجيش، إلا في ٧/ ١٢/ ١٩٤٧[٣].

بعد إخفاق العرب في الأمم المتحدة، اجتمع مجلس جامعة الدول العربية، وتم

(١) د.فلاح خالد علي،فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٣٩- ١٩٤٨)، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص٢٢٣- ٢٢٦.

(٢)الديش، مصدر سبق ذكره، ص٦٩٣- ٦٩٤.

(٣)مروة جبر، جامعة الدول العربية وقضية فلسطين (١٩٤٥- ١٩٦٥)، نيقوسيا، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٩، ص٣٦- ٣٩.

تشكيل لجنة قيادة عسكرية، و«جيش الإنقاذ»، كما تم حشد الجيوش العربية على حدود فلسطين. وبعد الاطلاع على تفاصيل قرارات الجامعة، نُظِّمت تظاهرة نسائية حاشدة، في طولكرم، تنديدًا بوجود العدو على أرضهن، وألقين الخطب السياسية في المساجد، مع صرخات «الله أكبر»، وقُرِعت أجراس الكنائس، وكان حاميتهن من أجساد شباب طولكرم. ولم تغب الجمعيات النسائية عن مسرح الأحداث الوطنية المصيرية، آنذاك، فقد اشتركت «الجمعية الخيرية الاجتماعية»، في طولكرم، وسائر جمعيات المناطق، في «الجهاد المقدّس»، كما أنشأن علاقات وثيقة مع جمعيات كل من مصر، ولبنان، وسوريا، والعراق. وكثّفت جمعية طولكرم جهودها، داخليًا، ونشطت، خارجيًا، حين طلبت عضواتها من رئيسة الاتحادات النسائية، في مصر، السيدة شعراوي، أن تتولى الدفاع عن قضية فلسطين، فاستجابت، كعادتها، لكل نداء وطني عربي. وقد ظلّت شعراوي على اتصال دائم بالجمعية، إلى ما قبل يومين من وفاتها، وذلك بالدأب على السؤال عن حاجات الجمعية، ومدّها بالمساعدات المُلِحَّة. كما أوفدت شعراوي، السيدة حواء إدريس، للقاء الاتحادات النسائية الفلسطينية، فعُقِدَ الاجتماع الأول، في القدس، برئاسة الآنسة زليخة الشهابي، واتخذت عدة قرارات، منها: الدعم المادي لإنشاء المستشفيات. وفي اليوم التالي، انتخبت لجنة نسائية، لمقابلة مساعد حاكم اللواء، مستر سمرفيلد، المتزوج من سيدة لبنانية، ثم انطلقن في مسيرة نسائية ضخمة، تقدمتها السيدة إدريس، ورئيسات الاتحاد في المناطق، وانضم إليهن حشد غفير من الجماهير، وتعالت الهتافات الحماسية، منددة بالانتداب البريطاني. وعند وصولهن إلى مقر الحاكم العسكري، قدمن إليه مذكرة احتجاج على الوضع، وعلى تحيُّز حكومته إلى الصهاينة، لإضاعة فلسطين[1].

(١) المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦.

نكبة ١٩٤٨

خُتِمت مشاريع التقسيم، بقرار الأمم المتحدة، مع الضعف العربي الفلسطيني وغيره، والاشتراك العالمي مع الصهيونية. كل ذلك أسهم في وقوع نكبة ١٩٤٨، التي مثّلت منعطفًا تاريخيًا هامًا، في الوطن العربي، حيث تم زرع الورم الصهيوني داخل الجسم العربي، ليتمكن الأول من الثاني، شيئًا فشيئًا، ويحوله إلى جسم هزيل، وقد كان.

استلمت الجيوش العربية فلسطين، وما بين ٨٠- ٨٢ في المئة من أراضيها مع العرب، وعقدت الدول العربية اتفاقات الهدنة مع إسرائيل، في النصف الأول من العام ١٩٤٩، فيما لم يكن قد بقي للعرب سوى ٢٢ في المئة، فقط، من أرض فلسطين. صحيح أن مدنًا عربية فلسطينية قد سقطت، حين أرجأت الجيوش العربية دخولها، إلى ١٥/ ٥/ ١٩٤٨، ومنها: طبريا (١٩/ ٤)، لكن في وجود الجيوش العربية، سقطت معظم المدن الفلسطينية ، المحتلة الآن[١].

قبل قرار التقسيم، ورجوعًا إلى مناضلتنا وديعة، كان زوجها قد باشر، في سبتمبر/ أيلول ١٩٤٧، بتدريب خمسين فتاة وسيدة على عمليات الإسعاف الأولي، وبدأن بتجهيز المستشفى، بعدما تبرع خرطبيل بعيادته، وطابق من منزله، للوفاء بالتزاماته، الإنسانية والوطنية، نحو الجرحى من الثوّار. وافتُتح المستشفى، في ١٣/ ١٢/ ١٩٤٧، وجاء قائد قوّات «الجهاد المقدّس»، عبد القادر الحسيني، خصيصًا، لحضور الافتتاح. وإزاء اشتعال القتال، نقلت وديعة أولادها إلى منطقة رام الله، للاطمئنان على سلامتهم، ومن ثم تفرغت هي للخدمة في المستشفى، إلى جانب الممرضات، حتى أنها ذهبت إلى القرى، لتجنيد المساعدات مع السيدات،

(١)خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥- ٩٧ .

أمثال: زهرة صلاح، وبدرية الناشف، وسنية الحاج إبراهيم، وبشرى سمارة، وابنها، وأم جمال القاسم. فضلاً عن المساعدات التي جاءتهن من «مكتب فلسطين الدائم»، في بيروت، بوساطة العمة ابتهاج، ومن الرائدة شعراوي، في مصر. وعندما ضاقت المستشفى بالجرحى الثوّار، أخلى خرطبيل ووديعة وآخرين الطابق الثاني من منزلهم، باستثناء ثلاث غرف، لتسكنها أسرة وديعة[1].

بعد سقوط معظم المدن الفلسطينية تحت سنابك العصابات الصهيونية المسلحة، نزحت أعداد كبيرة من الفلسطينيين، الذين أُجبروا على مغادرة وطنهم، إلى عدد من الدول العربية. وقد أشارت تقديرات الأمم المتحدة إلى أن عدد النازحين الفلسطينيين، حتى ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٨، بلغ ٧٢٥ ألف نسمة، أما من بقي من أهل فلسطين داخل الأراضي المحتلة، فقدرت الإحصاءات الإسرائيلية عددهم، فيما بين ١٢٠ إلى ١٣٠ ألفًا، وقدرت مصادر أخرى عدد من نزحوا بحوالي ٩٠٠ ألف نسمة[2].

كانت وديعة وأطفالها – دون زوجها – من ضمن الذين نزحوا إلى لبنان، إلا أنها اعتقدت بأن ترتيب أمورها كان حلاً مؤقتًا، وذلك للاقتناع بأنهم راجعون لا محالة. وقد وصلت إلى لبنان عشرات الألوف، ولم تكن لبنان، ولا غيرها، قادرة بأجهزتها، على التعاطي مع الكارثة، وسرعان ما نهضت الهيئات، والمؤسسات، السياسية، والخيرية، والاجتماعية، والنسائية، للقيام بواجبها. وكانت العمة ابتهاج على رأس الأخيرة، فعملت على استقبال النازحين، وأشرفت على إيوائهم في المدارس، والكنائس، والمساجد، وكانت هذه هي الخطوة الأولى، والأكثر إلحاحًا. وقد تركت وديعة أطفالها، في بيروت، عند أهلها، ثم رجعت إلى طولكرم، فعملت إلى جانب

(١) أحمد زكريا محمد فرج (محررًا)، حرب ١٩٤٨ ونكبتها، ط١، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠ (انظر: عبد القادر ياسين، السيرة الذاتية للنكبة، كيف نُسجت النكبة الفلسطينية؟!، ص ٥١٥- ٥١٦).

(٢) خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص١٠١- ١٠٣.

زوجها، في المستشفى إياه، وقد بذل خرطبيل جهده، في تأمين شروط شفاء الجرحى، في أسرع وقت ممكن، ولما تعافى آخر جريح وغادر المستشفى، عملوا على فك الأجهزة، والآلات، والمعدات، وأرسلوها إلى رئيسة الاتحاد النسائي في نابلس، السيدة عندليب العمد، لتورِّدها إلى المستشفى، حيث رأوا بأن نابلس أبعد عن الخطر، ثم رجعت وديعة إلى بيروت، لرعاية أطفالها، قبل أن يلحق بها زوجها[1].

المؤتمر النسائي العربي العام

اتصل بوديعة، في العام ١٩٤٩، رئيس الوزراء اللبناني، حينذاك، السيد رياض الصلح، طالبًا إليها تمثيل المرأة الفلسطينية، في «المؤتمر النسائي العربي العام»، الذي انعقد، في بيروت، في العام نفسه، وخُصص لبحث قضية فلسطين، وتشكيل هيئة جديدة للمكتب العربي، بعد وفاة الزعيمة المصرية، هدى شعراوي. وبعد أن استشارت وديعة عمتها، و«الهيئة العربية العليا»(*) في فلسطين، أفادتها الأخيرة بأن «حكومة عموم فلسطين(**)» قد فوَّضتها بالحضور، وتمثيل فلسطين. وتضمّنت

(١) أحمد صدقي الدجاني (مشرفًا)، **الفلسطينيون في الوطن العربي**، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨، ص١٩.

(*) أُصيبت «اللجنة العربية العليا» بالتمزق، بسبب الخلافات التي استبدت بأعضائها، فقرر رؤساء الدول العربية، في اجتماعهم، في أنشاص (مصر)، (٢٨،٢٧/ ٥/ ١٩٤٦)، وجوب تأليف هيئة تمثل الفلسطينيين، وتنطق باسمهم. ثم عقد مجلس الجامعة العربية دورة استثنائية، في بلودان (٦/ ١٩٤٦)، شكل فيها لجنتين: داخلية، وخارجية، وقد أوصت اللجنة الأولى بتأليف «هيئة فلسطينية عربية دولية»، اعتمدتها الجامعة، لتولي أعمال الدعاية، والمقاطعة، وتنشيط الفلسطينيين، فورثت «الهيئة» «اللجنة العربية العليا».

(**) قررت «الهيئة العربية العليا» إنشاء «حكومة فلسطين»، لتملأ الفراغ، بعد انسحاب الانتداب البريطاني (٥/ ١٩٤٨). وطلبت «الهيئة» من الجامعة العربية دعم هذا القرار، وفي ١٠/ ٧/ ١٩٤٨، أعلنت الأمانة العامة للجامعة موافقة اللجنة السياسية على تشكيل إدارة مدنية مؤقتة. غير أن مسألة الحكومة العربية الفلسطينية، أصبحت ملحة، عشية الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة،=

المذكرات التي وُجِهت إلى الهيئات والجمعيات الدولية، في هذا المؤتمر، المقررات التالية: حق الشعب الفلسطيني بالعودة إلى فلسطين، حق تقرير المصير، التنسيق مع الحكومات العربية، من أجل نصرة القضية الفلسطينية، إرسال برقيات إلى الحكومات العربية، بخصوص الاعتراف، والموافقة على «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، والعمل به، والذي أقر بحق الشعب الفلسطيني بالعودة إلى وطنه، ومقاومة أي محاولة لتوطين الفلسطينيين خارج فلسطين، والطلب إلى الحكومات العربية إقامة المساكن لهم، في المناطق المتاخمة لحدود بلادهم؛ ووجوب تعزيز القوى المسلحة على الحدود العربية - الإسرائيلية؛ وأخيرًا، تأييد حكومات العربية، في موقفها المعارض للصلح مع إسرائيل. أما كلمة وديعة، التي وجهتها إلى أعضاء مؤتمر لجنة حقوق المرأة، والاتحاد النسائي الدولي، ولجنة التوفيق، فقالت فيها: «أنا إبنة بيروت، ومن عائلة معروفة، ولكني لاجئة من فلسطين، وأعيش حياة صعبة، ولجأت إلى أهلي ليساعدوني. وكيف يكون حال هؤلاء الناس، الذين لا مأوى لهم؟ لذلك يجب أن يعود الحق إلى أصحابه، ويعود هؤلاء الفلسطينيين المشردين إلى وطنهم». وإثر انتهاء أعمال المؤتمر، بادرت وديعة، مع باقي أعضاء المؤتمر، إلى القيام بزيارات مختلفة للشخصيات السياسية، من أجل تقديم المذكرات لهم، أمثال: رئيس جمهورية لبنان، بشارة الخوري، ورئيس الوزراء، رياض الصلح. وكانت فرصة مناسبة، إثر انعقاد «مؤتمر لجنة حقوق المرأة»، و«مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي»، في مبنى اليونسكو، ببيروت، إذ قدّمن مذكرات باسم «الاتحاد النسائي العربي العام»، حول القضية الفلسطينية، كما عقدن لقاءات مع الأعضاء، تم خلالها شرح الظروف، التي أحاطت بالقضية الفلسطينية[1].

=خريف ١٩٤٨، فأُعلن عن تشكيل «حكومة عموم فلسطين»، في غزة، ٢٣/ ٩/ ١٩٤٨.

(١) للمزيد، انظر: خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦- ١١٤، ١٥٠.

ميلاد جديد

تشكّل انطباع لدى وديعة، في أعقاب المؤتمر النسائي العربي العام، ألح على ضرورة إثبات المرأة الفلسطينية لوجودها في لبنان، وإبراز حضورها ، لخدمة قضاياها السياسية، والاجتماعية، مما دفع بوديعة إلى البحث عن السيدات الفلسطينيات، اللواتي كن أعضاء في الجمعيات النسائية بفلسطين، وطلبت إليهن إعادة إحياء العمل النسائي الفلسطيني، وتشكيل هيئة نسائية فلسطينية، مهمتها الإشراف على خدمة اللاجئين، بالتعاون مع الهيئات واللجان المختلفة في لبنان. وقد حدث هذا، في بداية العام ١٩٥٠، فبدأن نشاطهن بالاتصال بالجمعيات النسائية والإنسانية في لبنان، بدءًا بأصدقاء الشرق الأوسط، والصليب الأحمر الدولي، وغيرهما. ثم وجدت وديعة بأن من المناسب اشتراكها في جمعيات نسائية أخرى، لخدمة قضية المرأة الفلسطينية، واللبنانية، والدفاع عن قضية اللاجئين الفلسطينيين، فدخلت عضوًا عاملاً، في كلٍ من: الميتم الإسلامي، الذي كانت ترأسه ابتهاج قدّورة، وجمعية الشابات المسلمات، ولجنة مساعدة مستشفى الجامعة الأمريكية، وجمعية العناية بالطفل والأم، وجمعية رعاية الطفل اللبناني، وجمعية المؤاساة، وجمعية مكافحة البغاء، ولجنة الصحة، وخريجات كلية بيروت الجامعية. وبعد فترة أصبحت وديعة عضوًا في الهيئة الإدارية لمعظم هذه المؤسسات. كما كانت السيدة الوحيدة في اللجنة التابعة لمكتب فلسطين الدائم، تلك اللجنة التي قامت بحملات تبرع لصالح اللاجئين، خصوصًا لمساعدة مستشفى صور، التابع للمكتب. ودعت اللجنة عددًا كبيرًا من الشخصيات العاملة في مختلف الميادين، من جمعيات ، ومؤسسات خيرية، وحزبية لبنانية، لتقسيم بيروت إلى مناطق، ومن ثم وزّعت نشاط اللجنة. وقد أعطت حملتهم هذه نتائج إيجابية، مشجّعة ، وملموسة، نظرًا

للتجاوب، والحماسة، والاندفاع، من قِبل الشعب اللبناني. إلا أن وديعة وجدت، عام ١٩٥٢، بأن عمل اللجنة النسائية الفلسطينية ،القائمة في ذلك الوقت، غير كافٍ. وانطلاقًا من هذا الواقع، اجتمعت وديعة بأعضاء «الهيئة العربية العليا»، ورئيسها، الحاج أمين الحسيني. وتباحثت معهم في أمر إعادة تشكيل فرع «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني»، في لبنان، فكان الرد مشجعًا، كما قدّم رئيس مكتب الهيئة، في بيروت، آنذاك، السيد إميل الغوري، مركز الهيئة، مكانًا لعقد اجتماعات الاتحاد، بالإضافة إلى غرفة خاصة، حوت التجهيزات، والتسهيلات اللازمة كافة، لاستخدامها كمكتب مؤقت، تُجرى منه الاتصالات، وتُعد فيه البيانات، والتقارير.

وقد عممت وديعة بواسطة الإذاعة، والصحف، دعوة لكل امرأة فلسطينية، لحضور الاجتماع الأول، وفيه جرى انتخاب الأعضاء، والهيئة الإدارية، ومختلف اللجان، وكانت الرئيسة، وديعة قدورة خرطبيل. وفي أول اجتماع للهيئة الإدارية المنتخبة، تمت دراسة الأوضاع العامة، وأوضاع المهجّرين من النواحي الصحية، والاجتماعية، والثقافية، ووضع برنامج عملها، للمرحلة اللاحقة ، وشُكل عدد من اللجان المختصة. كما اتخذت الهيئة الإدارية قرارًا قضى بزيارة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، للاطلاع على أوضاعهم ،عن كثب، لإمكانية مساعدتهم، بصورة دقيقة وفاعلة. وخلال كل ذلك، كان للاتحاد اتصال مع «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا)، من أجل التنسيق معها، والقيام بنشاطات مشتركة، لمساعدة المنكوبين، وكان تجاوب «الأونروا» جيدًا، في ذلك الوقت. وبعد هذا الإنجاز التنظيمي، بل قبله، انصبَّت أعمال الاتحاد على اتلعمال الاجتماعية، وتكريس حضور الاتحاد، ليس على الصعيد المحلي، فحسب، بل على الصعيدين العربي والدولي، أيضًا[1].

(١)المصدر نفسه، ص ١٥١- ١٥٤.

مؤتمرات

حفل عام ١٩٥٤ بالنشاطات، والأعمال الخيرية، والاجتماعية، فقد قام «الاتحاد النسائي الفلسطيني» بمشاريع عدة، لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين بلبنان، الذين عانوا الأمرَّين جراء التهجير، وسوء أحوالهم الصحية، والنفسية. كما اتصل الاتحاد بالشخصيات الأجنبية، التي كانت تزور لبنان، وأيدت القضية الفلسطينية، وناصرتها، في ذلك الوقت. وكان من أوائل المؤتمرات «مؤتمر قضايا العالم العربي» (٢١- ٢٣/ ٥/ ١٩٥٤)، وحضرته فود من مدن عربية شتى. وأولى المؤتمر قضية فلسطين الاهتمام الأول، مع بيان عوامل الفشل، والضعف العربيين، داخليًا ودوليًا، وخطر إسرائيل الاقتصادي، وصولاً إلى تحديد طريق المستقبل. وفي ٧/ ٦/ ١٩٥٤، انعقد «المؤتمر العربي العام»، برئاسة رئيس لبنان، حينئذٍ، بشارة الخوري، وترأست وديعة الوفد الفلسطيني، فيما ترأست الآنسة زليخة الشهابي، الوفد الأردني. وقد أنهت وديعة كلمتها، أمام المؤتمر، بالعبارة التالية: «إن الله والوطن وأبطال تاريخنا المجيد ليرقبون أعمالنا والوسائل التي تتخذ لتحرير فلسطين». وقد خرج المؤتمر بعدة قرارات، مشابهة لما جاء في «المؤتمر النسائي العربي العام» (١٩٤٩). وما أن علم الاتحاد، في العام ١٩٥٤، بأن مؤتمرًا دوليًا سيُعقد في عاصمة سيلان، كولومبو (أغسطس/ آب١٩٥٥)، حتى طالبت وديعة «الاتحاد النسائي الدولي»، باسم «الاتحاد العام»، حق الاشتراك في «الاتحاد العالمي»، وقد كان، وأُرسلت وديعة، ممثلة للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، وفيه رسّخت وديعة علاقاتها مع العديد من رئيسات الوفود، والنواب، للعمل على تطويق مساعي الوفد الإسرائيلي، خاصة، بعدما فُوجئت وديعة بجهل النواب السيلانيين بالوضع في وطننا العربي، وتمسّكت وديعة بضرورة تسجيل فلسطين، وتمثيلها في «الاتحاد النسائي الدولي»، عضوًا عاملاً. وقد أدى النشاط والتحركات مع أعضاء المؤتمر إلى

فوز وديعة، في انتخابات الهيئة الإدارية للاتحاد الدولي، وسقوط مندوبة إسرائيل، وكان ذلك بالنسبة لوديعة، «النصر الأول» للقضية الفلسطينية. وكان مؤتمر كولومبو هو الأول، وفاتحة اشتراك «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني»، في مختلف المؤتمرات، العربية والعالمية، التي كان يُدعى إليها[1].

***

العدوان الثلاثي

تخلل هذه الفترة «العدوان الثلاثي» (١٩٥٦)، على مصر وقطاع غزة، بذريعة إعلان الرئيس المصري، حينذاك، جمال عبد الناصر، تأميم قناة السويس (٢٣/ ٧/ ١٩٥٦)، مما مثّل ضربة قاصمة لكل من بريطانيا وفرنسا، وشاركتهما إسرائيل، وفي المقابل، مثل رد الفعل هذا صدمة للشعوب، والدول العربية كافة.

لقد جوبه العدوان على مصر بمقاومة شعبية شديدة، فضلاً عن استبسال القوات العسكرية على كافة المحاور، رغم التفوق العسكري الساحق لقوات العدوان ، وقد صاحب ذلك التفاف شعبي، مصري وعربي، حول القيادة المصرية، متمثلة بالرئيس، جمال عبد الناصر[2].

قطع ذلك العدوان على الاتحاد الالتفات إلى الأوضاع الداخلية للاتحاد، خاصة بعد الحصول على الرخصة الرسمية له (تحت بند المؤسسات اللبنانية الخيرية، رقم ١١٨٠). وفي هذا السبيل، عُقِدَ اجتماع في منزل الدكتورة زاهية قدورة، (أخت وديعة)، ببيروت، بهدف القيام بتحرك لدعم مصر في مواقفها ضد العدوان. وكان الاجتماع الثاني، في منزل السياسي اللبناني البارز، الحاج حسين العويني، وقد لبّت الدعوة معظم الجمعيات، والهيئات، الكشفية، والنقابية، والاجتماعية، في بيروت.

(١)المصدر نفسه، ص١٥٤- ١٥٩.

(٢)للمزيد، انظر: المصدر نفسه، ص١٥٩- ١٦٧.

وكان النقاش حول كيفية تحقيق الغاية من الاجتماع، وتقديم المساعدات، المالية، والطبية، للشقيقة مصر، وفيه تم الاتفاق على القرارات التالية[1]:

أولاً: تأليف «اللجنة الأهلية لنصرة مصر»، برئاسة السيد رشيد كرامي، وعضوية الحاج حسين العويني، ووديعة قدورة خرطبيل، وآخرين.

ثانيًا: توجيه النداء إلى اللبنانيين، للمساهمة في هذا العمل النبيل.

ثالثًا: إرسال برقية تأييد للرئيس جمال عبد الناصر.

رابعًا: تشكيل لجنة مالية، وأخرى إعلامية. وقد لبى الطبيب، أديب قدورة (شقيق وديعة) النداء، قبل تأليف اللجنة، وأرسل المساعدة الطبية إلى مصر.

في العام التالي للعدوان، أُجريت انتخابات لهيئة إدارية جديدة، للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، فغدت خرطبيل رئيسة للهيئة، مرة أخرى، كما استأجر الاتحاد مركزًا جديدًا لبيت «إسعاد الطفولة»، مُعيِّنًا لجنة استشارية للمشروع من كبار رجال الأعمال، وشارك الاتحاد، في العام نفسه، في «المؤتمر النسائي العربي»، بدمشق. ثم شارك، في ٢٥/ ٨/ ١٩٥٨، في مؤتمر أثينا، حيث اندلع الصراع ضاريًا، بين وديعة ومندوبة إسرائيل، وقد فازت فيه وديعة في انتخابات الهيئة الإدارية على تلك المندوبة، للمرة الثانية. أما لجنة خبراء همرشولد، فكانت من أبرز المشاريع الدولية، التي تواترت، منذ النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين، وقد قدّم «الاتحاد» مذكرة، باسم الشعب الفلسطيني، إلى تلك اللجنة، التي جهل بعض أعضائها طبيعة القضية. وقد قرر النازحون الفلسطينيون رفض تقرير الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، داغ همر شولد، جملةً وتفصيلاً، وأعلنوا بأنه لا توطين، ولا امتصاص، ولا دمج، ولا تهجير، بل عودة إلى فلسطين، وعودة فلسطين إلى أهلها، ولا حل غير هذا. كما ناشد الفلسطينيون الدول العربية رفض المشروع. وفي مؤتمر طهران

(١) العميد أحمد كمال عبد الحميد، معركة سيناء وقناة السويس، القاهرة، إصدار جمعية الوعي القومي، ١٩٦٠، ص٢١٤- ٢١٨.

(٣/ ٧/ ١٩٦٠)، تقدمت وديعة بعدة قضايا لبحثها، في «المؤتمر النسائي الدولي»، الذي كان سيُعقد في العام التالي، في إيرلندا، ومن هذه القضايا: قضية اللاجئين ؛ وحق المرأة اللاجئة بالحياة، والعودة إلى وطنها؛ وتعليم الفتاة الفلسطينية، ورفع مستواها، من الناحيتين، المادية، والمعنوية. وقد كان لحكومة إسرائيل، في هذا المؤتمر، المجال الواسع، والتحرك في مختلف الميادين التجارية، والرياضية، والحياتية، والاجتماعية.

وقبل طهران، دُعيت وديعة إلى حضور اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر النسائي الآسيوي- الأفريقي، في القاهرة، والذي انعقد، فيما بعد، في منتصف يناير/ كانون الثاني ١٩٦١، وهَدَفَ هذا المؤتمر إلى تقرير حقوق المرأة الأفريقية- الآسيوية، ووضع مبادئ المساواة والعدالة، ودراسة أهم مشاكل المرأة، من النواحي الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية. وقد انتخب «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني» سبعة أعضاء، برئاسة وديعة، للمشاركة في هذا المؤتمر.

أما المؤتمر الخامس للاتحاد النسائي العربي العام، فانعقد بلبنان، في ٢٦/ ١١/ ١٩٦٢، وكانت وديعة في عداد اللجنة السياسية للمؤتمر، واختتم المؤتمر بانتخاب الآنسة ابتهاج قدورة، مجددًا، رئيسة للاتحاد العربي العام، وكان من القرارات المتعلقة بقضية فلسطين: التجنيد الإجباري للفلسطينيين، القادرين على حمل السلاح؛ وإقامة حرس وطني في كل الأقطار العربية المتاخمة لإسرائيل، ومقاومة الإسكان، والتوطين للاجئين الفلسطينيين، في البلاد العربية، وإحباط كل محاولة لتنفيذها، وتسهيل تنقل الفلسطينيين في البلاد العربية، والعمل علي تنفيذ قرار الأمم المتحدة، فيما اختص بعودة اللاجئين، ومنع إسرائيل من بيع أملاك العرب الغائبين. أما مؤتمر سان فرنسيسكو(٩/ ٧/ ١٩٦٢)، فأدرج على جدول أعماله العمل على نزع السلاح، من أجل الحرية، والسلام، وطُلب في المؤتمر تأليف «لجنة للسلام والحرية»، في لبنان، على أن تكون وديعة هي الرئيسة، فرفضت وديعة، لأنها فضلت أن تكون مندوبة لبنان ،

أنيسة النجار، هي الرئيسة[1].

مشروع الكيان الفلسطيني

اتخذت المقاومة الفلسطينية، منذ نكبة ١٩٤٨ ، حتى «العدوان الثلاثي» ١٩٥٦، أشكالاً كفاحية بسيطة، محدودة التأثير، فيما اعتبرت بين ١٩٥٧ - ١٩٦٤ حالة مخاض في تاريخ المقاومة [2].

بدعوة من الزعيم الراحل، جمال عبد الناصر، انعقد في القاهرة، مؤتمر قمة عربية، فيما بين ١٣ – ١٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٦٤، نوقش ضمن قراراته تنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه، وتقرير مصيره، كما قررت القمة تخويل ممثل فلسطين في الجامعة العربية، آنذاك، أحمد الشقيري، بأن يتابع اتصالاته بالدول العربية والشعب الفلسطيني. كما رحب مؤتمر القمة الثاني، الذي عُقد في الإسكندرية، من ٥ – ١١ سبتمبر/ أيلول ١٩٦٤، بقيام «منظمة التحرير الفلسطينية»، وأقر بأن يُعسكر الجيش الفلسطيني، الذي تقرر تنظيمه، في شتى التجمعات الفلسطينية في الدول العربية[3].

كان «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني»، في مقدمة التشكيلات الفلسطينية المطالبة بالكيان الفلسطيني المستقل، ففي ١٢/ ٩/ ١٩٦٣، أبرقت وديعة إلي الأمين العام لجامعة الدول العربية، حينذاك، عبد الخالق حسونة، بمناسبة انعقاد دورة للجامعة، مطالبة بإبراز الكيان الفلسطيني، وتسليم القضية لأصحابها، بمساعدة الجامعة، مادياً، ومعنوياً، وتضمنت البرقية تأييدًا ودعمًا للشقيري، للإسراع في

(١)للمزيد، انظر: خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٨- ٢١٩.

(٢)عن مؤتمرات أخرى، انظر: المصدر نفسه، ص١٦٧- ١٨٣، ٢١٩- ٢٢٨.

(٣)د. محسن محمد صالح، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، القاهرة، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٣،ص ٣١٠- ٣١١.

تشكيل الكيان الفلسطيني، الذي يصل بالقضية إلي مستواها الثوري المطلوب، وقبل ذلك، وانطلاقا من كينونة مشروع الكيان الفلسطيني، موضوع الساعة، فقد عقدت وديعة، في منزلها، بناء على طلب الشقيري اجتماعاً (٧/ ٣/ ١٩٦٤)، انتهى إلي النقاط التالية[١]:

١. ضرورة مساندة المشروع، مبدئيا.

٢. تسجيل الاعتراضات الوجيهة عليه.

٣. اعتماد المشروع على التعيين، لا الانتخابات.

٤. ضرورة إشراك المرأة، اشتراكًا فعلياً؛ في المنظمة، في مجلسها الوطني، وفي لجنتها التنفيذية؛

٥. الدعوة الي اجتماع عام للمرأة الفلسطينية ، في نادي الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، في بيروت (١٧/ ٣/ ١٩٦٤)؛

٦. تشكيل لجنة تحضيرية، للاجتماع العام، يعقد في منزل السيدة خرطبيل.

توج ذلك الاجتماع بمجموعة من التوصيات، أهمها: الكيان وأسسه، تنظيم الكيان، ودور المرأة الفلسطينية فيه.

بذا، أمسى ظهور «منظمة التحرير الفلسطينية» واقعاً لا مفر منه، بعد استحداث محددات شتى، فلسطينية، وعربية، ودولية، ولعل أهم هذه المحددات ذلك النهوض الاقتصادي الاجتماعي الفلسطيني، فضلاً عن النهوض في المجالين، العربي والدولي.

عُقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول (٢٨/ ٥ – ٢/ ٦/ ١٩٦٤)، في القدس،

(١)للمزيد، أنظر: عصام الدين فرج، **منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ - ١٩٩٣)**، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث، ١٩٨٢، ص ٣٥.

الذي أطلق عليه، لاحقاً، «المجلس الوطني الفلسطيني الأول». وقد صادق المؤتمر على «الميثاق القومي»، الذي وضع مسودته الشقيري، كما اختار المؤتمر الشقيري رئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة، وكلفه باختيار أعضاء هذه اللجنة الخمسة عشر، وتقرر إنشاء «الصندوق القومي الفلسطيني»، فضلا عن إعداد الشعب الفلسطيني، عسكرياً[1].

كانت وديعة السبّاقة إلي طرح فكرة توحيد مختلف الاتجاهات والجماعات النسائية، تحت لواء «الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية»، وذلك في اجتماع عام، عُقد في بيروت (١٩٦٣) ، ضم مختلف الهيئات النسائية الفلسطينية، بهدف تحقيق وحدة متكاملة، من أجل تهيئة العمل النضالي لتحرير فلسطين. طرحت هذه الفكرة، مجددًا، وتبلورت، أثناء انعقاد «المؤتمر الفلسطيني الأول»، وهكذا ، خرجت إلي حيّز التنفيذ. فيما عقد «المجلس الوطني الفلسطيني الثاني»، في القاهرة (٣١/ ٥/ ١٩٦٥) ، وتمثل الاتحاد النسائي بوديعة، وبألكسندرا ظريفة، وسلوى ناجية، وصبا الفاهوم، والأديبة سميرة عزام. ومن ضمن المقترحات التي طُرحت على التصويت، بقصد إقرارها، تشكيل اتحاد نسائي فلسطيني موحَّد، في كل البلاد العربية، مرتبط مباشرة بالمنظمة، وكانت وديعة المعارضة الوحيدة، وأصرت على موقفها، وقالت، حينها: «لا أحد يمكن أن يعرف ماذا سيحدث في المستقبل، بالنسبة إلي المنظمة، وأي خلل سيصيب المنظمة سيتأثر به الاتحاد، في حال ارتباطه بها، مباشرة، لذا يجب ان يبقى الاتحاد مستقلاً، تماماً، عن المنظمة، اسمياً، وليس عملياً، كونه مرخصًا به من الحكومة اللبنانية، ويتمتع بالحقوق الكاملة نفسها، التي تتمتع بها الجمعيات اللبنانية الأخرى». وفي ١٥/ ٧/ ١٩٦٥، وفي مدينة القدس، استطاعت المرأة الفلسطينية رسم الطريق الأقوم لكفاحها، والسبيل الأصح، للإسهام في العمل المتوجب عليها، لتشارك الرجل

(١)جبر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.

الفلسطيني على درب التحرير. حيث عقد الاجتماع الأول للمرأة الفلسطينية[1].

نكسة ١٩٦٧

جاءت نكسة يونيو/ حزيران ١٩٦٧، لتلغي أي فرحة لتحرُّر عربي، أو ولادة كيان فلسطيني. وتزعزع إيمان الكثيرين بالشعارات، التي انصبت على التهويل في القوة العربية، والتهوين في القدرات الإسرائيلية. ما أضاع ما تبقى من فلسطين.

رغم هول الضربة الصاعقة، فإن الاتحاد عمل، ليل نهار، مع جميع الهيئات والمنظمات، لمد يد العون والمساعدة، في سبيل لملمة الجراح، ودرء الكارثة. وبعد التشاور، استقر الرأي على التعاون مع م.ت.ف.، للقيام بحملات التبرع، لمساعدة الذين شُرِّدوا من بيوتهم ووطنهم، عن طريق الإعلان عن الحملة، عبر شتى وسائل الإعلام، من تليفزيون، وإذاعة، وصحف، وطلب إرسال المساعدات إلى مكتب «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني». وقد استطاع الاتحاد جمع تبرعات كثيرة من: مادية، ومواد طبية، وغذائية، وبطانيات، وملابس، ما فاقت حمولته ١١٥ شاحنة كبيرة، حمِّلت بمواد الإغاثة للأردن، و٣٠ شاحنة أخرى إلي سوريا. فضلاً عن الجهد الكبير الذي قامت به عشرات الجمعيات الخيرية، التي بذل متطوعوها جهودًا مضنية في هذه الحملة، خاصة «جمعية كشافة الجرَّاح»؛ «جمعية المقاصد الإسلامية»؛ أساتذة وطلاب الجامعتين، اللبنانية والأمريكية، والعشرات من الهيئات، والمؤسسات. كما كثّف الاتحاد تحركاته ، وأجرى اتصالات واسعة في سبيل النهوض بالمسئوليات. وكان في صلب أولوياتهم القيام بجولتين، إحداهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية (بدأت في ٢/ ١٢/ ١٩٦٧)، والثانية إلى المغرب، فضلا عن مسيرة في لندن (يونيو/ حزيران ١٩٦٧)، في إطار مهرجان أسبوع اللاجئين، وهناك عقد الاتحاد لقاء مع الطلبة العرب، عموماً، من أجل قضية فلسطين. فضلا

(١)خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ٢٢٨- ٢٣٥.

عن توجه الاتحاد إلى مجلس العموم البريطاني، ومكتب وزير الخارجية البريطاني. كما تنبهت وديعة، ممثلة في الاتحاد، بأن من أسباب الهزيمة: ديناميكية الآلة الإعلامية الإسرائيلية، فلم تكتف وديعة بما أورده الاتحاد، حول الكتب والمنشورات، بل رافقت أعضاء الاتحاد، دوماً، شخصيات أجنبية وعربية، لزيارة المخيمات الفلسطينية، ليروا بأعينهم نتائج قيام الكيان الإسرائيلي علي أرض فلسطين[1].

أوقدت «معركة الكرامة»[*] الأمل في نفوس كل المواطنين العرب، فضلاً عن الجيوش العربية، في إمكانية مواجهة العدو الصهيوني، وإلحاق الهزيمة به. وإزاء ذلك نظم الاتحاد تظاهرة ضخمة، شارك فيها العمال، والطلاب، والجمعيات، والهيئات النسائية، كما توجة الاتحاد إلى المجلس النيابي اللبناني، داعيا إياه إلى التضامن، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وقضيته الوطنية. كما دعا الاتحاد إلي تنظيم مسيرة نسائية، تقرر موعدها، في ٢/ ٥/ ١٩٦٨، إثر تصاعد موجة الاعتقالات ضد المناضلات العربيات، وإعلان سلطات العدو الصهيوني العسكرية عن اعتزامها إقامة استعراض عسكري في القدس. وفي ذكرى احتلال فلسطين (١٢/ ٥/ ١٩٦٨)، أقام «الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني» مهرجاناً شعبياً كبيراً، في سينما بيروت. وفيها حمّلت وديعة الخيانة الدولية مسئولية نكبة ١٩٤٨، ونوّهت

(١)عبد القادر ياسين (محررًا)، أربعون عامًا من حياة منظمة التحرير الفلسطينية، ط١، دمشق، المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، ٢٠٠٦(أنظر: حنان كمال، ملابسات استقالة أحمد الشقيري، ص٢٢٢).

(*) قامت القوات الإسرائيلية، في ٢١/ ٣/ ١٩٦٨ بشن هجوم واسع النطاق على الضفة الشرقية لنهر الأردن، هدفها المعلن القضاء علي مواقع الفدائيين الفلسطينيين في مخيم الكرامة، ومناطق أخرى إلى الجنوب من البحر الميت. لم يكن هذا الهجوم مفاجئًا للفصائل الفلسطينية، أو للقوات الأردنية. وأخفقت إسرائيل في تحقيق أهدافها، العسكرية والاستراتيجية. بينما كانت «الكرامة» نقطة تحول لفتح خاصة، والمقاومة الفلسطينية عامة، وعلى الصعيد العربي، كانت نوعًا من استرداد جزء من الكرامة العربية، التي فُقدت في يونيو/ حزيران ١٩٦٧.

بالتضامن العربي، وأشارت إلي أن هزيمة ١٩٦٧ هي مجرد هزيمة عسكرية، ولم تكن، أبدًا، هزيمة شعبية. وطالبت وديعة بتسليح القرى الأمامية، والشباب الفلسطيني، والسماح له بالتنقل بحرية في البلاد العربية. وأتبع الاتحاد هذا المهرجان، بتوجية نداء إلي الحكام العرب، والشعب العربي، بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٩٦٨، ناشد فية الحكام بذل فيه الحكام ما في وسعهم لاستعادة الكرامة والحق العربيين، في فلسطين، والمناطق العربية المحتلة، ودعاهم إلي التضامن الكامل والشامل، والتخطيط الحثيث، من أجل إستعادة الأرض المسلوبة، وإنقاذ فلسطين، كما طالب الاتحاد المسئولين بالعمل على توعية الإنسان العربي، ليصبح خليقًا بالبذل والعطاء، من أجل القضية.[١]

هكذا استمرت وديعة خرطبيل في العطاء، إلى ما قبل وفاتها، ببيروت (١٢ أبريل/ نيسان ٢٠٠٧)، بأربعة أيام فقط، رغم اشتداد المرض عليها، وقد فقدت وديعة ابنها مروان[*]، وهو في ريعان شبابه، وبعده زوجها، ولم يسعنا إلى أن نتطرق إلي حياة وديعة الخاصة، التي اختلطت بالحياة العامة، وقدأسهم زوجها، أولاً، ثم أولادها، في مساندتها لمواصلة نضالها. وقد أوصاها مروان، قُبيل وفاته، ألاّ تترك ما بدأته، مهما لاقت من أحزان خاصة، وقد قصد هنا وفاته.

لم تكن وديعة أمًا لأربعة أبناء، هم فاروق، ومروان، وأمل، وهشام، عدا عايدة، التي دُفنت رضيعة ذات، خمسة أشهر، لكن وديعة كانت أم النضال الفلسطيني، بامتياز.

---

(١) خرطبيل، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥- ٢٥٥. للمزيد، أنظر: المصدر نفسه، ص١٨٦- ١٩٦، ٢١١-٢١٤، ٢٩٢- ٢٩٦. المصدر نفسه، ص٢٥٧-٢٦٠.

(*) حصل مروان على درجة الامتياز في الهندسة، في إنجلترا، وتعدى نشاطه إلي النشاطات الاجتماعية الأخرى، كما تولى مروان مسئولية الشئون الفلسطينية في «حزب البعث». وفي ٨/ ٣/ ١٩٦٣ وقع انقلاب عسكري في سوريا، فقرر وأصدقاؤه الذهاب إلى سوريا، للتهنئة، ولكن بعد عودة مروان من الأردن، لارتباطه بالعمل الذي كلفه به إميل البستاني (المعروف بعلاقته الوطيدة بالأمريكان)، سافر مروان والبستاني في (١٣/ ٣) في طائرة الثاني الخاصة، صغيرة الحجم، فوقعت في البحر، قبالة بيروت، وتوفي كل من عليها.